القطع في القران الكريم

دراسة لغوية

د. سعاد كريدي كنداوي
كلية التربية /جامعة القادسية

خلاصة البحث

القطع ظاهرة قديمة في اللغة ، وتعني مغايرة المنعوت أو المعطوف عليه لما قبله في الإعراب ، وقد وجدنا انتشارا واسعا لهذه الظاهرة في القران الكريم وهذا ما دفعنا إلى بحثها في القران الكريم معتمدين في ذلك على الجذر اللغوي وما يحمله من دلالات تبين سبب القطع والغرض من حدوثه داخل النص القرآني .

المقدمة

في اللغة العربية ظاهرة جدير بالدرس والاهتمام والتتبع ، هي ظاهرة القطع ولا سيما ما يتصل منها بالنص القراني ، وما ورد فيه من الفاظ تمثلت فيها هذه الظاهرة خير تمثيل .

والقطع في اللغة ظاهرة قديمة ولعل هذا القدم هو الذي دفع بعض الباحثين الى القول بان القطع ظاهرة قديمة ((وقد اختفت هذه الظاهرة من التعبير منذ زمن بعيد) [١] .

ويراد بالقطع مغايرة النعت او المعطوف علية في الإعراب لما قبله ، والأصل في ذلك التطابق مطلقا رفعا ونصبا وجرا فمع القطع يحصل ألا يرد النعت مرفوعا اذ قد يرد النعت مرفوعا ومنعوته منصوبا او قد يرد المعطوف مجرورا والمعطوف عليه منصوبا . ويقع القطع فيما يبدو في قسمين من التوابع هما النعت وعطف النسق وقد ورد القطع كثيرا في القران الكريم وهذا ما دفعنا الى دراسة هذه الظاهرة ، وتتبعها داخل النص الكريم ، اذ ان كثرة الالفاظ المقطوعة عن توابعها في الاعراب جعلتنا نظن انها ترقى الى ظاهرة يمكن ان نصفها بظاهرة القطع في القران . هذا فضلا عن الشواهد الكثيرة التي شاعت في اللغة .

ويمثل الهدف من البحث الاجابة عن سؤالين مهمين هما :

الاول : ما الغرض من قطع التابع عن متبوعه – الصفة ، والعطف – في الإعراب ؟

الاخر : هل يحصل ذلك مع الصفات اذا طالت او كثرت ؟

ولاجل الاجابة عن هذين السؤالين اقتضت طبيعة البحث ان تكون مصادره خليطا من معجمات كان في مقدمتها (العين ، الصحاح ، لسان العرب) ، وكتب التفسير كـ (تفسير الكشاف ، الجامع لاحكام القرآن ، التفسير الكبير ، جامع البيان) ولا نغفل في هذا المجال كتب اللغة والنحو وما حوته من

اشارات مهمة كانت لنا دليلا ونحن نبحث في اهمية هذه الظاهرة ومنها : (كتاب سيبويه ، ومعاني القران للفراء ، والمقتضب) وغيرها كثير .

واخيرا اقول : الحمد لله الذي حبب اليّ البحث في كتابه . فان كان هذا الجهد يرضيه فحسبي ذلك وان كانت الاخرى فحسبي اني اجتهدت ولكل مجتهد نصبت .

تأصيل الظاهرة

القطع : ظاهرة لغوية قديمة واول من اشار اليها سيبويه في كتابه اذ قال : ((هذا باب ما ينتصب على التعظيم والمدح . وان شئت جعلته صفة فجرى على الاول . وان شئت قطعته فابتدأته وذلك قولك : الحمد لله الحميد هو .... واما الصفة فان كثيرا من العرب يجعلونه صفة ، فيتبعونه الاول فيقولون : اهل الحمد والحميد هو ، وكذلك الحمد لله اهله : وان شئت جررت ، وان شئت نصبت ، وان شئت ابتدأت)) [٢] .

وقد اراد ان يبين اصالة هذه الظاهرة فقال : ((وقد سمعنا بعض العرب يقول : (الحمد لله رب العالمين) [٣] ، فسألت عنها يونس فزعم انها عربية)) [٤] ويقع القطع كثيرا في الصفات اذا طالت او كثرت . قال الفراء : ((والعرب تعترض من صفات الواحد اذا تطاولت بالمدح او الذم فيرفعون اذا كان الاسم رفعا ، وينصبون بعض المدح فكأنهم ينوون إخراج المنصوب بمدح مجدد غير متبع لاول الكلام ؛ من ذلك قول الشاعر :

لا يبعدن قومي الذين هم سُمُّ العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الازر

وربما رفعوا (النازلون) و(الطيبون)))[٥] .

والى مثل هذا ذهب الفارسي بقوله : ((واذا كثرت الصفات الكثيرة في معرض المدح ، ام الذم فالاحسن ان تخالف في اعرابها ولا تجعلها كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف ، والابلاغ في القول . فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود اكمل لان الاختلاف يصبر كأنه انواع من الكلام ، وضروب من البيان ، وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا ، او جملة واحدة)) [٦] .

والذي ذكره النحاة من ان القطع لا يكون الا في النعوت الكثيرة ، او المتطاولة ليس قاعدة فقد وجدنا في القران الكريم نعوتا قطعت عن منعوتها وهي ليست كثيرة اومتطاولة نحو قوله تعالى : ((وأمرأته حمالة الحطب)) [٧] .

وقد اشترط النحاة للقطع شروطا لا يكون الا بها ، منها :

١- انه لا يكون إلا في النعوت المتطاولة او الكثيرة [٨] .

٢- ان لا يكون النعت الا لقصد المدح او الذم [٩] .

٣- ان يعلم السامع من اتصاف المنعوت بالنعت ما يعلمه المتكلم ، أي يكون مشهورا ومعلوما بتلك الصفة ، ولا يكون الغرض منها التبين والتمييز ، لانه ان كان كذلك جاز الاتباع وامتنع القطع ، جاء

في شرح قطر الندى ((ويجوز قطع الصفة المعلوم موصوفها حقيقة او إدعاء رفعا بتقدير (هو) ونصبا بتقدير (اعني))) [١٠] .

وقد اضاف بعض النحاة شرطا رابعا وهو تمام الكلام وهذا ما نجده عند الكسائي والفراء ، اذ رفض الكسائي القطع عند تفسيره لقوله تعالى : ((ولكن الراسخون في العلم يؤمنون ... والمقيمين الصلاة)) [١١] .

قال الفراء : ((وانما امتنع من مذهب المدح – يعني الكسائي – الذي فسرت لك ؛ لانه قال : لا ينصب الممدوح الا عند تمام الكلام ، ولم يتم الكلام في سورة النساء ، الا ترى انك حين قلت : (لكن الراسخون في العلم منهم الى قوله (والمقيمين ، والمؤمنون) كأنك منتظر لخبره ، وخبره في قولك : (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) والكلام اكثره على ما وصف الكسائي)) [١٢] .

والغرض من القطع كما يتضح من نصوص النحاة هو افراد الممدوح ، او المذموم بمدح او ذم مجدد زائد على معنى المدح او الذم الاول وليس التاكد على المدح او الذم ذاته ، قال الزجاج : ((وقال النحويون : اذا قلت : مررت بزيد الكريم وانت تريد ان تخلص (زيدا) من غيره فالجر هو الكلام حتى يعرف (زيد الكريم) من (زيد) غير الكريم ، واذا اردت المدح والثناء ، فأن شئت نصبت فقلت : (مررت بزيدٍ الكريمَ) كأنك قلت اذكر الكريم ، وان شئت قلت : (بزيدِ الكريمُ) على تقدير (هو الكريم) وجاءني قومك المطعمين في المحل ، والمغيثين في الشدائد ، على معنى : اذكر المطعمين ، وهم المغيثون في الشدائد)) [١٣] . والى مثل هذا ذهب ابن قتيبة بقوله : ((والعرب تنصب على المدح او الذم ، كانهم ينوون إفراد الممدوح بمدح مجدد غير متبع لاول الكلام)) [١٤] .

لاجل بيان صحة هذا الذى ذكره النحاة عن النعت المقطوع ومطابقة ذلك مع النص القرانى كان هذا البحث فقد اتخذنا من بعض الايات التي حصل فيها القطع انموذجا يدلل على ذلك ، وقد جاءت هذه النصوص مرتبة حسب سورها كما جاءت السور مرتبة حسب تسلسها في القران الكريم .

١- قال تعالى : ((الحمد لله رب العالمين)) [١٥] الاصل في رب الخفض على اعراب موصوفة لكنه جاء منصوبا . وعللوا النصب على انه اريد به المدح او الثناء قال الطبرسي : ((ومن نصب (رب العالمين فانما ينصبه على المدح والثناء ؛ كأنه لما قال : (الحمد لله) فاستدل بهذا اللفظ على انه ذكرا لله ، فكانه قال : اذكر رب العالمين . فعلى هذا لو قرأ في غير القران (ربُّ العالمين) مرفوعا على المدح ايضا لكان جائزا على معنى (هو رب العالمين) وقد استدل على صحة ذلك بقول الشاعر :

لا يبعدن قومي الذين هم سُمُّ العداة وآفة الجزرالنازلين بكل معتـــرك والطيبون معاقد الازر

وقد روي (النازلون ، والنازلين) و (الطيبون ، والطيبين))) [١٦] .

وزعم بعضهم ان النصب قراءة منسوبة الى زيد بن علي . جاء في البحر المحيط : ((وقرأ زيد بن علي وطائفة (ربَّ العالمين) بالنصب على المدح)) [١٧] . وقد ضعفت هذه القراءة على رأي من خفض الصفات التي بعدها وهي (الرحمن الرحيم) . لان النحاة نصوا على انه لا اتباع بعد القطع في النعوت اما من نصب الصفات التي بعدها فلا ضعف في القراءة على هذا الوجه ، ومما يقوي قراءة

النصب في هذا النص ما ذكره سيبوية اذ قال : ((وسمعنا بعض العرب يقول : (الحمدُ لله ربَّ العالمين) ، فسألت عنها يونس فزعم انها عربية)) [١٨] .

٢- قال تعالى : ((واتي المال على حبه ذي القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم اذ عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون)) [١٩] .

قطع لفظ الصابرين عن بقية الالفاظ الواردة من حيث الاعراب اذ جاء منصوبا وحقة الرفع عطفا على (الموفون) [٢٠] ، ولو تاملنا حقيقة هذا القطع لوجدنا انه حصل لبيان فائدة لا تتم الا معه . فالنص تتحدث عن مجموعة من الاحكام والعبادات والفروض وقد تفاوتت من حيث التكليف والاداء ومن حيث الخفة والشدة في اداء هذا التكليف ، اذ تبدأ بالايمان بالله سبحانه وما يتبعه من الايمان برسله وملائكته وكتبه وهذا شيء معنوي يسهل على الانسان المكلف الاتيان به ، ثم اعطاء المال على حب الله بعد الايمان به ، وهذا التكليف قد يكون اثقل من سابقه لان الانسان جبل على حب المال .ثم اقامة الصلاة ، وهذا الغرض اصعب من سابقيه اذ المقصود هنا الصلاة الحقة المستوفية لشرائطها غير المنقوصة ثم الزكاة وهذا فرض غير محكوم بالاستطاعة فهو كالحج في ضرورة تأديته متى ما توفرت شروطه ومنها الاستطاعة .

ثم ياتي لفظ (الصابرين) المقطوع عن بقية الالفاظ ، اذن لتتأمل لفظ (الصابرين) وعلى ما اذا يكون الصبر ومتى يكون ولعلنا لا نبالغ كثيرا اذ قلنا ان هذا التكليف هو اثقل من كل ما ذكر من فروض وطاعات ، فالصبر لا يكون الا على ما يخالف الطبيعة البشرية [٢١] ، وهذا ما يبينه النص .

اذ فضل الصبر هنا على ان يكون في مواطن ثلاثة هي (البأساء ، والضراء ، وحين البأس) .

وقد جاءت مرتبة حسب الخفة فبدأت بالبؤس وهو شدة الحاجة الفقر ، ثم الضراء وهو الوجع او العلة ، ثم حين البأس وهو وقت استعار الحرب أي (فقر ، وجع ، حرب مستعرة) فالاول اخف وهو الفقر اذ قد يتحمل مع الصحة ، والعلة أو الوجع فتكون اشد وطأة من الفقر اما وقت اشتداد الحرب واستعارها فهذا ما لا يحتمل اذ يعني الموت على من وجب عليه الجهاد .

فهذا الإمام علي (عليه السلام) على شجاعته يقول : ((كنا اذا احتدم الوطيس لذنا برسول الله (ص))) [٢٢] ، وفي رواية اخرى انه قال : ((كنا اذا احمر البأساء التقينا برسول الله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه . يريد اذا اشتد الحرب)) [٢٣].

اذن قطع لفظ الصابرين فجاء ((منصوبا على الاختصاص والمدح إظهارا لفظ الصبر في الشدائد ومواطن القتال وسائر الأعمال)) [٢٤] .

٣- قال تعالى : ((لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنأتيهم اجرا عظيما)) [٢٥] .

النص يتحدث عن بني اسرائيل وعن الظلم الذي حصل منهم ، لكنه استثنى فريقا منهم وهم الذين بينهم النص فهؤلاء يؤمنون بالله وبكتبه ، ويقيمون الصلاة ، ويؤدون الزكاة ، ويؤمنون باليوم الاخر .

وقد جاء (المقيمين هنا مقطوعا عن سابقه ولاحقة ، اذ جاء منصوبا [٢٦] وحقه ان يكون مرفوعا لانه معطوف على مرفوع هو (المؤمنون) ،وجاء بعده معطوف على مرفوع وهما (المؤتون) ،(والمؤمنون) اذن لماذا قطع لفظ (المقيمين) .

الجذر اللغوى للفظ (المقيمين) هو من يجيبنا عن هذا السؤال ،فالفعل (قوم) يحتمل معنين هما (الاقامة)، و(القيام) ،ولاشك في ان المعنى المراد هنا هو (الاقامة) لا (القيام) وهذا ما تبينه كتب المعجمات ، اذ وجدت لنا فرقا دقيقا بين المعنيين .

فالاقامة تعني المداومة على الشيئ (اقام الشيء ادامة) [٢٧] ، قال الجواهري : ((واقام الشيء ، أي ادامة)) ومنه قوله تعالى ((ويقيمون الصلاة)))) [٢٨] .

فالاقامة لا بد ان تتصف بصفة الدوام فلا تكون بوقت دون سواه ، ولا بمكان دون غيره . وهذا المعنى لا يؤديه القيام ، الذي يكون بحركات معينة تدل في مجملها على الصلاة اذ تدخل فيها صلاة المرائي والكسول ، قال صاحب المفردات : ((ولم يامر الله تعالى بالصلاة حيثما امر ولا مدح به حيثما مدح . إلا بلفظ الاقامة تنبيها الى ان المقصود منها توفية شرائطها لا الاتيان بهيئتها نحو : (اقيموا الصلاة) في غير موضع (المقيمين الصلاة) ، وقوله : (اذ قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) ، فان هذا من القيام لا من الاقامة))[٢٩] .

مما تقدم يتضح ان سبب القطع كان لايقاظ السامع ولفت انتباهه الى ان المراد من اللفظ هو (الاقامة) لا (القيام) فيه تكون الصلاة الحقة المستوفية لشرائطها غير المنقوصة ، وهذه هي التي جعل منها سبحانه وتعالى فرض عين ، وجعل منها رسوله (ص) عمود الدين وقنطرة الاسلام ، كما جعلها الحد الفاصل بين الايمان والكفر من حيث الاقامة والترك وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهب باب قبول الاعمال ان قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها فلاجل هذا كله جاء لفظها منفردا عن غيره تبيانا للفظهما وادراكا لاهميتها [٣٠] ، والله اعلم .

٤- قال تعالى : ((يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم يأتوك يحرفون الكلم عن مواضعه)) [٣١] .

أُختلف في اعراب (سماعون) فهي عند الفراء على ثلاثة وجوه اولها انها مرفوعة بـ (من) قال : ((ان شئت رفعت قوله (سماعون للكذب) بـ (من) ... وان شئت كان المعنى لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من هؤلاء ، (ولا من الذين هادوا) فترفع حينئذ (سماعون) على الاستئناف ... واذ حسن فيه المدح والذم فهو وجه ثالث)) [٣٢] .

واكد صاحب مجمع البيان الوجه الثالث بقوله : ((ارتفع (سماعون) لانه خبر مبتدأ محذوف ، أي هم سماعون)) [٣٣] .

ان لفظ (سماعون) جاء مقطوعا عن غيره لانه يدل في اصل وضعه على معنيين اولهما : سمع الحقيقة واشاعتها بين الناس ، والاخر : الاستماع للخبر لاجل تكذيبه وان كان صدقا وقد وضح صاحب اللسان هذا الامر بقوله : ((رجل سماع اذا كان كثير الاستماع لما يقال وينطق به ، قال عز وجل : (سماعون للكذب) ، فسر قوله سماعون للكذب على وجهين : احدهما انهم يسمعون لكي يكذبوا فيما سمعوا ، ويجوز ان يكون معناه انهم يسمعون الكذب ليشيعوه في الناس)) [٣٤] .

وعلى هذا الذي ذكره صاحب اللسان يحتمل النص المعنى الاول ويستبعد المعنى الثاني ، لانه (ص) : ((لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)) وكلامه (ص) لا يحتمل الكذب .

اذن هذه الفئة من اليهود والمنافقين كانت تحضر مجالس الرسول (ص) وتستمع لما يقال فيها لا ايمانا بها ولا رغبة في معرفة ما يقال ، ولكن لاجل تكذيب ما تسمع واشاعة هذا الكذب وايصاله لقوم آخرين لم يحضروا هذه المجالس .

جاء في مجمع البيان : ((والمعنى سماعون قولك ليكذبوا عليك (سماعون) كلامك لقوم اخرين لم ياتوك ليكذبوا عليك اذ ارجعوا ، اي هم عيونا عليك)) [٣٥] . ((أي يتالونه على غير تأويله بعد ان فهموه عنك وعرفوا مواضعه التي ارادها الله عز وجل)) [٣٦] فهو ليس كذبا وانما تكذيبا ((فهم يسمعون منه لاجل ان يكذبوا)) [٣٧] .

مما تقدم يتضح ان القطع هنا حقق فائدة زائدة على المعنى وهي لفت انتباه السامع وايقاضه الى ان المراد من لفظ (سماعون) ليس الاستماع الى الكذب الحقيقي ، وانما الاستماع الى الخير الصادق اليقين ثم تكذيبه لغاية معرفة هي تكذيب ما جاء به الرسول (ص) ، أي اشاعة الخبر على غير ما اريد له ولا شك في ان عقوبة الثاني هي اشد واعظم من الاول لان الاخير عالم عارف بما يفعل بخلاف الجاهل بحقيقة الخبر ، والله اعلم .

٥- قال تعالى : ((انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)) [٣٨] .

(فريضة) هي اللفظ المقطوع عن موصوفه اذ حقها الرفع لكنها قطعت الى النصب ، قال الفراء: ((وفريضة من الله نصبت على القطع ، والرفع جائز)) [٣٩] .

والفرض معناه : الواجب ، او ((ما اعطيت من غير قرض)) [٤٠] وفرائض الله الحدود الواجبة التنفيذ ((وعلى هذا يقال : فرض في العطاء ... ومن هذا الفرض قيل للعطية فرض وللدين فرض ، وفرائض الله تعالى ما فرض لاربابها ... ويقال لما اخذ من الصدقة فريضة قال : (انما الصدقات للفقراء الى قوله : (فريضة من الله))) [٤١] ، وهي غير زكاة الاموال .

ولعل هذه المقدمة توضح لنا سبب القطع في هذا اللفظ ، فالنص بدأ يذكر اصناف الذين تحق لهم الصدقة وهؤلاء ذكرتهم الاية بدءا بالمعدم وهو الفقير الذي لا مال له ونراه قدم على المسكين لان المسكين يملك المال من خلال السؤال والطواف ، ثم العاملين عليها وهم السعاة وهؤلاء اوفر حظا من سابقيهم ثم المؤلفة قلوبهم ، وهؤلاء كانوا من اشراف العرب كان الرسول (ص) يعطيهم طمعا في اسلام

قومهم ، ثم اصحاب الرقاب الذين كاتبهم الرسول ، ثم الغارمين وهم اصحاب الدين الذين دخلوه من غير افساد ، واخرهم فئة المجاهدين في سبيل الله ، وابن السبيل وهو المنقطع او الضيف او المسافر)) [٤٢] .

فلما بين هذه الاصناف التي تحق لها الصدقات قطع لفظ (فريضة) ليبين ان عطاء هؤلاء هو فريضة واجبة التنفيذ وكأنها حدّ ملزم لصاحبه ؛ لان الانسان المستطيع وغير المستطيع يستطيع ان يقدم العون باي شيء مهما كان يسيرا لاي صنف من هذه الاصناف المذكورة .

وعلى هذا تصبح هذه الفريضة وكأنها فرض عين لا يستطيع المكلف التخلف عن تاديته وهذا ما تبينه لاحقة اللفظ (فريضة من الله والله عليم حكيم) أي ((مقدرة واجبة قدرها الله ووضحها (والله اعلم) بحاجة خلقه (حكيم) فيما فرض عليهم واوجب من اخراج الصدقات وغير ذلك)) [٤٣] .

٦- قال تعالى : ((لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا)) [٤٤] .

(ملعونين) هي اللفظ المقطوع والقطع هنا من الرفع الى النصب اذ حق اللفظ ان يكون مرفوعا لانه صفة (للمنافقين والمرجفين) ، قال الفراء : ((ملعونين منصوبة على الشتم ... كما قال : (وامراته حمالة الحطب) [٤٥] لمن نصبه)) [٤٦] .

والى مثل هذا ذهب القرطبي بقوله : ((وتنصب ملعونين على الشتم) [٤٧] وقبل ان نتبين سبب القطع لا بد ان نعلم المعنى الذي يدل عليه اللفظ (ملعونين) حتى تدرك سبب القطع ، قيل : ((اللعن والطرد والابعاد من الخير)) [٤٨] ، وقيل : ((اللعن في القران العذاب ولعنة الله يلعنه لعنا عذبه))[٤٩] .

وفصل صاحب المفردات في معنى اللعن فقال : ((اللعن الطرد والابعاد على سبيل السخط وذلك من الله تعالى في الاخرة عقوبة ، ومن الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه ، ومن الانسان دعاء على غيره)) [٥٠] .

فلفظ (ملعونين) يحتمل كل هذه المعاني فهم أي المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون مطرودون ومبعدون عن الخير وهذا الطرد يكون على سبيل السخط والعقوبة ، ثم انهم معذبون في الدنيا والاخرة ، ومنقطعون من قبول رحمته سبحانه وتوفيقه ، ومدعو عليهم من قبل غيرهم ويزيد من حدة هذه المعاني وشدتها لفظ (اينما ثقفوا) ، أي : اينما ادركوا [٥١] ، او وقع عليهم البصر .

ولعلنا لا نبالغ كثيرا اذا قلنا : ان كثرة هذه المعاني التي يحتملها اللفظ هي التي دعت الى القطع وسوغته لنتبين حقيقة عقوبة هؤلاء فهي عقوبة دنيوية اخروية تحتمل الابعاد والطرد واللعن والقتل والنفي وقد جمع صاحب مجمع البيان هذه المعاني في تفسيره لهذا النص فقال : ((ملعونون ، أي مطرودين منفيين عن المدينة مبعدين عن الرحمة وقيل : ملعونين على السنة المؤمنين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ، أي : اينما وجدوا او ظفر بهم اخذوا وقتلوا ابلغ القتل)) [٥٢] .

٧- قال تعالى : ((كلا انها لظى نزاعة للشوى)) [٥٣] .

اختلف القراء في (نزاعة) فهي عند بعضهم مرفوعة ، وعند اخرين منصوبة وما يهمنا هنا قراءة الرفع اذ معها يحصل القطع ، قال الفراء : ((فرفع (نزاعة) على الاستئناف وهي نكرة من صفة معرفة ، وكذلك قوله : (لا تبقي ولا تذر لواحة) [٥٤])) [٥٥] .

ثم يقول : ((فما اتاك من مثل هذا الكلام نصبته ورفعته ، ونصبه على القطع وعلى الحال ، واذا حسن فيه المدح او الذم فهو وجه ثالث ، ويصلح اذا نصبته على الشتم او المدح ان تنصب معرفته كما تنصب نكرته)) [٥٦] .

والى مثل هذا ذهب الرازي في تفسير النص اذ قال : (((ونزاعة) مرفوعة وفي سبب هذا الارتفاع وجوه ... الثالث ان ترتفع على الذم والتقدير انها لظى وهي نزاعة للشوى ، وهذا قول الاخفش والفراء والزجاج)) [٥٧] ، ولمعرفة سبب القطع لا بد ان تعرف المعنى الذي يؤديه لفظ (نزاعة) .

اتفق اصحاب المعجمات على ان النزاع معناه القلع ، جاء في العين : ((نزعت الشيء قلعته انزعه نزعا ، وانتزعته ، اسرع واخف)) [٥٨] . والى المعنى نفسه ذهب الجوهري بقوله : ((نزعت الشيء من مكانه انزعه نزعا : قلعته)) [٥٩] ، وزاد صاحب المفردات فائدة فقال : ((ويستعمل ذلك في الاعراض)) [٦٠] أي انه لا يكون في المعاني وانما يكون فيما يدرك ويحس ، قيل (الشوى) الاطراف ، وهي اليدان والرجلان ، يقال : للرامي اذ لم يصب المقتل : اشوى ، أي اصاب الشوى ، والشوى ايضا جلد الراس واحدتها : شواه ... قال مقاتل : ((تنزع النار الهامة والاطراف فلا تترك لحما ولا جلدا الا احرقته ، وقال سعيد بن جبير العصب والعقب ولحم الساقين واليدين ، وقال ثابت البناني : لمكارم وجه بني ادم)) [٦١] .

فلاجل ابراز كل هذه المعاني قطع لفظ (نزاعة)ليدل على عظم هذا العقاب وما يصيب منه بني ادم ، فلا ينفعه حينئذ لا صاحب ولا مال ولا بنون .

٨- قال تعالى : ((وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها)) [٦٢] .

(دانية) هي اللفظ المقطوع ، جاء في معاني القران : ((وقد تكون الدانية منصوبة على مثل قول العرب : عند فلان جارية جميلة ، وشابة جعد طرية ، يعترضون لا بالمدح اعتراضا فلا ينون به النسق على ما قبله ، وكانهم يضمرون مع هذه الواو فعلا تكون به النصب في احدى القرائتين)) [٦٣] .

ولعل الرغبة في بيان حال هذه الفئة من المؤمنين وما يتمتعون به من خيرات تفوق خيرات الدنيا هي التي جاءت باللفظ مقطوعا ، وهذا ما يبرزه لفظ (دانية) ، قال الزمخشري : ((دانية أي : تدنوا ضلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم ... وتذليل القطوف : ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا ، او تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة ، من قولهم : حائط ذليل اذا كان قصيرا)) [٦٤] وقد اراد القرطبي ان يبالغ في زيادة هذا النعيم فقال : ((ودانية عليهم ضلالها)) أي الاشجار في الجنة قريبة من الابرار ، فهي مظلة عليهم زيادة في نعيمهم وان كان لا شمس ولا قمر ثم كما ان امشاطهم الذهب

والفضة وان كان لا وسخ ولا شعث ثم ، ويقال : ان ارتفاع الاشجار في الجنة مائة عام ، فاذا اشتهى ولي الله ثمرتها دنت حتى تناولها)) [٦٥] .

وقد اجاب الرازي عن تساؤل مفترض ، وهو ان الظل يوجد حيث توجد الشمس ، فكيف يكون ذلك ولا شمس في الجنة ؟ الجواب : ان المراد ان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظللة منها)) [٦٦] .

٩- قال تعالى : ((وامرأته حمالة الحطب))[٦٧] .

(حمالة) صفة قطعت عن موصوفها اذ جاءت منصوبة وحقها الرفع ، قال الزمخشري : ((وقريء حمالة الحطب بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة)) [٦٨] .

وعلى راي الزمخشري سار معظم المفسرين [٦٩] . وقيل انما وصفت بذلك لانها كانت تحمل الشوك منطرحة في طريق النبي (ص) اذا خرج الى الصلاة ... وقيل : انما وصفت بحمالة الحطب لانها كانت تمشي بالنميمة ، وقيل : حمالة الحطب في النار ، وفي ذلك دلالة قاطعة على انها تموت على الكفر [٧٠] .

وقيل ان ابا لهب كان متعدد الازواج فحصل القطع ليبين ان الذم متوجه الى هذه المراة بعينها دون غيرها من نساءه وهذا ما نذهب اليه ومما يقوي هذا الذي ذهبنا اليه ما ذكره النحاس فس تفسير النص حين قال : ((وفي نعتها هذا قولان ... احد القولين انها نعتت بهذا تبخيسا لها عقوبة لايذائها النبي (ص) ، والقول الاخر : ان يكون له زوجات غيرها فنعتت بهذا للفرق بينها وبينهن)) [٧١] .

الخاتمة:

هذا البحث يمثل وقفة مع ظاهرة جديرة بالبحث والدراسة هي ظاهرة القطع ، ولم تحظ هذه الظاهرة القديمة في اللغة بدراسة جادة – عدا ما ذكر منها مع موضوع التوابع – ولعل اشارة الدكتور فاضل السامرائي في كتابه (معاني النحو) هي الوحيدة التي حاولت تسليط الضوء عليها مع انها جاءت قصيرة وموجزة ، وقد خلص البحث الى جملة من النتائج هي :

١- ظاهرة القطع ، ظاهرة لغوية قديمة ترقى الى ان نسجل موضوعا جدير بالدراسة والاهتمام بما توفر لها من شواهد شعرية ، ونصوص قرانية كانت مادة البحث ، مع ان البحث لم يكن احصاءا ولم يسجل استقصاء لها لان هذا ليس ميدانه .

٢- تحدث النحاة والمفسرين كثيرا عن القطع في الصفات ، واغفلوا انه يقع في العطف واعني به عطف النسق .

٣- حصر النحاة القطع في الصفات الكثيرة او المتطاولة ، قال الفراء : ((والعرب تعترض من صفات الواحد اذا تطاولت)) [٧٢] ، وقال الفارسي : ((واذا كثرت الصفات الكثيرة في معرض المدح او الذم فالاحسن ان تخالف في اعرابها)) [٧٣] ، وقد وجدنا غير ذلك في القران الكريم ،

فغالبا ما يقع القطع في صفة واحدة غير متطاولة نحو ما كان في قوله تعالى : ((وامرأته حمالة الحطب)) [٧٤] .

٤- اشترط بعض النحاة ومنهم الكوفيون – الكسائي والفراء – تمام الكلام ، لصحة القطع في حين استغنى آخرون عن هذا الشرط .

٥- ذهب بعض من من درس [٧٥]القطع الى انه يكثر في الرفع ،أي النعت المقطوع الى الرفع ويقل في النصب لانه مع الرفع يكون بتقدير اسم ، ومع النصب يكون بتقدير فعل ، والذي حصل ان القطع في القران الكريم كثر مع النصب ، اذ فاق المرفوع

٦- جعل النحاة الغرض من القطع هو افراد الممدوح بمدح او ذم مجرد غير متبع لاول الكلام وكانهم ارادوا بذلك افراده بصفة زائدةعلى صفاته المعروفة اوالمعلومة .

٧- كثر القطع في مواطن الترهيب والترغيب ، لذا نجده يكثر في السور المدنية ، التي تحمل هذه المضامين .

٨- نص النحاة على انه لا اتباع بعد القطع في النعوت ، وقد حصل في القران غير ذلك فقد جاءت الفاظ مقطوعة اتبع بعدها لما قبلها نحو ما جاء في سورة النساء ، آية : ١٦٢ .

الهوامش

[١] معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ١٨٧ .

[٢] الكتاب ٢/٦٢-٦٣ .

[٣] الفاتحة ٢ .

[٤] الكتاب ٢/٦٢ .

[٥] معاني القران ١/١٠٥ .

[٦] البحر المحيط ٢/٧-٨ ، وينظر : امالي المرتضى ١/٢٠٥ ، معاني القران واعرابه ٢/١٣١ ، والبرهان ٢/٤٤٦-٤٤٧ ، والاتقان ٢/٧٠ ، معترك الاقران ١/٢٥٤ .

[٧] المسد /٤ .

[٨] اشرنا الى ان ذلك ليس قاعدة فقد جاءت نصوص مقطوعة لم يكن فيها النعت كثيرا او متطاولا .

[٩] لا يكون الغرض من القطع هو الذم او المدح فقط ، فقد رأينا ان في القران اغراضا اخرى كما سيتضح من النصوص التي ستذكر في مواضعها .

[١٠] شرح قطر الندى ٢٨٨ ، وينظر : الكامل ، المبرد ٢/٧٤٨ .

[١١] النساء /١٦٢ .

[١٢] معاني القران ١/١٠٧ ، وينظر : الجامع لاحكام القران ، القرطبي ١/١٠٥-١٠٦ .

[١٣] معاني القران واعرابه ٢/١٣١ .

[١٤] تأويل مشكل القران ٣٨-٣٩ .

[١٥] الفاتحة /٢ .

[١٦] ينظر : معاني القران ، الفراء ١٠٥/١ ، ومجمع البيان ٢٩/١ .

[١٧] البحر المحيط ١٩/١ .

[١٨] الكتاب ٦٢/٢ ، وينظر : معاني القران واعرابه ٤٦/١ ومشكل اعراب القران ٦٨/١ ، التبيان ٥/١ ، البيان ٣٥/١ .

[١٩] البقرة /١٧٧ .

[٢٠] ينظر : معاني القران ، الفراء ١٠٥/١ ، الكشاف ٢٢٥/١ ، معاني القران واعرابه ٢٤٧/١ ، التبيان ١٤٥/١ ، البيان ١٤٠/١ ، البحر المحيط ٧/٢ .

[٢١] المفردات ٢٧٣ .

[٢٢] ينظر : مجمع البيان ، ٤٧٧/١-٤٧٨ ، الكشاف ٣٣١/١ .

[٢٣] مجمع البيان ٤٧٧/١-٤٧٨ .

[٢٤] الكشاف ٣٣١/١ ، وينظر : اعراب القران ، النحاس ١٧١/١ ، ومعاني القران واعرابه ، الزجاج ٢٤٧/١ .

[٢٥] النساء ١٦٢ .

[٢٦] ينظر : جامع البيان ٣٩٥/٩ ، الجامع لاحكام القران ١٣/٦ ، اعراب القران ، النحاس ٥٠٤/١-٥٠٥

[٢٧] اللسان ٤٩٨/١٢ .

[٢٨] الصحاح ٢٠١٧/٥ .

[٢٩] المفردات ٤١٨ ، وينظر : مجمع البيان ٤٧٧/١-٤٧٨ ، ٢١٥/٣ .

[٣٠] ينظر : الكشاف ٥٨٢/١ ، البحر المحيط ٣٩٥/٣ ، معاني القران واعرابه ، الزجاج ١٣٢/٢ ، مشكل تأويل القران ٣٨-٣٩ ، امالي المرتضى ٢٠٥/١ .

[٣١] المائدة /٤١ .

[٣٢] معاني القران ٣٠٨/١-٣٠٩ .

[٣٣] مجمع البيان ٢٩٩/٣ .

[٣٤] اللسان ١٦٤/٨ .

[٣٥] مجمع البيان ٣٠١/٣ ، وينظر : اعراب القران ، النحاس ٢٠/٢-٢١ .

[٣٦] اعراب القران ، النحاس٢٠/١-٢١ .

[٣٧] المفردات ٢٤٣ .

[٣٨] التوبة /٦ .

[٣٩] معاني القران ٤٤٤/١ .

[٤٠]العين ٢٨/٧ .

[٤١]المفردت ٣٧٦ .

[٤٢]ينظر : معاني القران ، الفراء ٢٤٣/١-٢٤٤ ، مجمع البيان ٥٤/٥-٥٦ .

[٤٣]مجمع البيان ٦٥/٥ .

[٤٤]الاحزاب ٦٠-٦١ .

[٤٥]المسد /٢ .

[٤٦] معاني القران ، الفراء ٣٤٩/٢-٣٥٠ .

[٤٧]الجامع لاحكام القران ٢٤٧/١٤ .

[٤٨]الصحاح ١٩٦/٦ .

[٤٩]اللسان ٣٨٩/١٣ ، وينظر : ٢٠/٩ .

[٥٠] المفردات ٤٥١ .

[٥١]ينظر : المصدر نفسه ٧٩ ، اللسان ٢٠/٩ .

[٥٢]مجمع البيان ٥٨١/٧ .

[٥٣]المعارج /١٥ .

[٥٤]المدثر ٢٨-٢٩ .

[٥٥] معاني القران ٣٠٩/١ .

[٥٦]المصدر نفسه / الصفحة نفسها .

[٥٧]التفسير الكبير ١٢٧/٣٠ .

[٥٨]العين ٣٥٧/١ .

[٥٩]الصحاح ١٢٨٩/٣ ، وينظر : اللسان ٣٤٩/٨ .

[٦٠]المفردات ٤٨٧ .

[٦١]التفسير الكبير ١٢٧/٣٠-١٢٨ ، وينظر : الكشاف ٦١٣/٤ .

[٦٢]الانسان /١٣ .

[٦٣]معاني القران ٢١٦/٣ .

[٦٤]الكشاف ٦٧١/٤-٦٧٢ .

[٦٥]الجامع لاحكام القران ٢٤٧/٣ .

[٦٦]التفسير الكبير ٢٢٠/٣٠ .

[٦٧]المسد /٤ .

[٦٨]الكشاف ٨١٥/٤ ، وينظر :التفسير الكبير ١٧١/٣٢ .

[٦٩]ينظر : التفسير الكبير ١٣٢/٣٢ .

[٧٠]وينظر : المفردات ١٣٢ .

[٧١]اعراب القران ، النحاس ٣٠٦/٥-٣٠٧ .

[٧٢]معاني القران ١٠٥/١ .

[٧٣]البحر المحيط ٧/٢-٨ .

[٧٤]المسد /٤ .

[٧٥]ينظر : معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ١٩٢ .

المصادر والمراجع:

١- القران الكريم .

٢- الاتقان في علوم القران ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ) ، دار الندوة الجديدة ، يبروت ، د ، ت .

٣- اعراب القران ، ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (٣٨٠ هـ) ، تحقيق :غازي زاهد ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥م .

٤- امالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد ، علي بن الحسين الموسوي العلوي (٤٣٦هـ) ، مطبعة السعادة ، ١٩٧٠م .

٥- البرهان في علوم القران ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ) ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، عيسى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٩٥٨م .

٦- البيان في عريب اعراب القران ، ابو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري (٧٧هـ) ، تحقيق : طه عبد الحميد طه ، مراجعة مصطفى السقا ، الهيئة المصرية (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) .

٧- تأويل مشكل القران ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، تحقيق : السيد احمد صقر ، عيسى البابي الحلبي .

٨- التبيان في اعراب بالقران ، ابو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٦١٦هـ) تحقيق : محمد علي البجاوي ، عيسى البابي الحلبي .

٩- التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، اثير الدين ابو عبد الله محمد بن يوسف الغرناطي ابو حيان (٧٤٥هـ) ، الرياض – المملكة العربية السعودية .

١٠-التفسير الكبير ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٦٠٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١١-جامع البيان عن تأويل آي القران ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المعارف – مصر .
١٢-الجامع لاحكام القران ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (٦٧١هـ) ، دار الكتب المصرية ، ط٣ ،١٣٨٧هـ-١٩٦٧م .
١٣- شرح قطر الندى ،
١٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ) ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين .
١٥- العين ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، ابراهيم السامرائي – بغداد ، ١٩٨٦م .
١٦- الكامل في اللغة والادب ، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة نهضة مصر .
١٧- الكتاب ابو بشر عمر بن قنبر سيبويه (١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، ط٣ ، ١٩٨٣ م .
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، ابو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ) ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .
١٩- لسان العرب ، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور (٧١١هـ) ، دار الفكر .
٢٠- مجمع البيان ، ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
٢١- معاني القران ، ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار واحمد يوسف نجاتي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢٠م .
٢٢- معاني القران واعرابه ، ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (٣١١هـ) ، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبد الله شلبي ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٩٨٨ م .
٢٣- معاني النحو ، د. فاضل السامرائي ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ م .
٢٤ – معترك الاقران في اعجاز القران ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (٩١١ هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الفكر الاسلامي .

Assertion in the Holy Quran

A Linguistic Study Assertion is an ancient phenomena in language .
It means the change of the adjective for what is before it . This phenomena finds a great spread in the Holy Quran . Thus, it is studied, depending on the linguistic stem and it semantic reference .
The study clarifies the reason behind this assertion inside the sacred context .